عنوان التظاهرة: "فلسفة التغيير في فكر الشيخ محمد الغزالي."

ملتقى دولي من تنظيم مركز الشهاب– سطيف

مداخلة بعنوان: مركزية العلم والحرية في فلسفة التغيير عند الشيخ محمد الغزالي

The focal point of Sience and Freedom in the philosophy of substitution by Sheikh Muhammed Al-ghazali

من اعداد الدكتورة نورة رجاتي

benchanora@gmail.com

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية_قسنطينة_الجزائر

وسيلة أمزيان

amezianewassila25@gmail.com

جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة. كلية العلوم الإسلامية_الجزائر_الجزائر.

2023/05/05-06

الملخص:

تدور محاور هذه المداخلة حول شخصية إصلاحية ذات مسيرة علمية مشرفة ساهمت بشكل كبير في إثراء التّيار الإصلاحي الإسلامي، وهو الشيخ محمد الغزالي الذي قدّم فلسفة تغييرية لما آلت إليه أوضاع الأمة الإسلامية من أجل استنهاضها الحضاري. قدمنا في هذه الورقة البحثية نبذة تعريفية للشيخ محمد الغزالي وتعريفا لمصطلح التغيير بمفهومها الإسلامي والإصلاحي، انتقلنا بعد هذا إلى عرض مفهوم العلم و مفهوم الحرية في فكر الشيخ محمد الغزالي، لننتهي في آخر محور من هذه المداخلة إلى استخلاص مركزية العلم والعقل

و الحرية في المشروع الإصلاحي للشيخ أين بينا مدى تأكيده على ضرورة استنهاض هذه المفاهيم في العالم الإسلامي وفهمها وفق منظور إسلامي بحت ينطلق من القرآن الكريم والنموذج النبوي وينتهي إليهما.

Abstract:

The axes of this intervention revolve around a reformist figure with an honorable scholarly background who has largely contributed to the enrichment of the Islamic reformist current.

This is Sheikh Muhammad Al-Ghazali, who presented a philosophy of change to what have become the conditions of the Islamic nation for its civilizational renewal. In this article, we have presented an introduction to Sheikh Muhammad Al-Ghazali and a definition of the term change in its Islamic and reformist concept. We then moved on to presenting the concept of science and the concept of freedom in thought by Sheikh Muhammad Al-Ghazali. Let us conclude, in the last axis of this intervention, to extract the centrality of knowledge, reason and freedom in the reform project of the sheikh Where have we shown the extent of his insistence on the need to mobilize these concepts in the Islamic world and to understand them from a purely Islamic perspective that starts from the Holy Quran and the prophetic model and ends with them.

المقدمة:

سقطت آخر محطات الحضارة الإسلامية وهي الدولة العثمانية في القرن العشرين، و تراجع حال الأمة الإسلامية كثيرا، و أفلت الحضارة الإسلامية بتعبير ابن خلدون، و دخل العالم الإسلامي في موجة الاستعمار الأوروبي الذي أنهك الأمة ماديا وثقافيا فانتشر الجهل وعمل الاستعمار على إبعاد المسلمين عن دينهم وظهر التّيار الحداثي الذي أصيب بصدمة حضارية اتجاه أوروبا المادية فظنّ أنّ خلاص الأمة الإسلامية في قطع الدين عن مناحي الحياة، بين هذا وذاك ظهر التيار الإصلاحي الإسلامي الذي اجتهد فيه نخبة من علماء

الأمة الإسلامية في ع رض مشاريعهم الإصلاحية، بغية تغيير حال الأمة و العودة بها إلى مجد الحضارة الإسلامية.

ومن أهم نماذج المدرسة الإصلاحية الإسلامية في العصر الحديث الشيخ محمد الغزالي الذي قدّم نظرة عقلانية واقعية لإخراج الأمة من تراجعها، ومن أهم مبادئ فلسفة التغيير عند الشيخ الغزالي مبدأ العلم و مبدأ الحرية اللذان شكّلا ركيزتين أساسيتين في مشروع استنهاض الحضارة الإسلامية في فكر الشيخ.

الإشكالية:

من جملة هذه الأفكار نكتسب مشروعية طرح الإشكالية التالية: ما هو مفهوم العلم والحرية في فكر الشيخ محمد الغزالي؟ وكيف شكّل هذين المفهومين مبادئ محورية وجوهرية في مشروع التغيير عند الغزالي؟ ذلك ما سنحاول الإجابة عنه في شكل قراءة في مؤلفات الشيخ محمد الغزالي لاستنباط فلسفته التغيرية.

الأهداف:

1. التعرف على الفكر الإصلاحي الإسلامي من خلال عرض أحد أهم أقطابه خدمة لمشروع النهضة الحضارية الإسلامية.
2. يكتسب الموضوع أهميته من خلال الشخصية التي يدور البحث حوله إذ أنّها شخصية موسوعية دعوية عقلانية وواقعية في الطرح، وجريئة في عرض حلول أزمة الأمة الإسلامية.
3. تقديم مشروع تغييري متكامل يسهم في حل الكثير من الأزمات الفكرية التي تتخبط فيها الأمة **منهج الدراسة:**

اقتضت طبيعة الموضوع اعتمادنا المنهج التحليلي والاستقرائي، حيث تتبعنا مؤلفات الشيخ محمدالغزالي لاستقراء آراءه حول مفهوم العلم والحرية، واعتمدنا منهج التحليل في تحليل آرائه ومواقفه مننكسات الأمة و حلوله التي قدّمها وصولا إلى فهم مركزية هذه المبادئ _العلم والح رية_ في فلسفته التغيرية.

المحاور:

1. مدخل مفاهيمي:
2. مفهوم الحرية في فكر الغزالي.
3. مفهوم العلم والعقل عند الغزالي.
4. محورية العلم والحرية في فلسفة التغيير عند الشيخ الغزالي.

العرض:

1. مدخل مفاهيمي:

- **فلسفة التغيير:**

التغيير لغة: يطلق التغيير في اللغة على انتقال الشيء من حالة إلى أخرى وتغيير الشيء أي تحويله وتبديله، وقد جاء في القرآن الكريم: " ذلك بأن الله لم يك مغيّرا نعمة أنعمها على قوم حتّ يغيّروا ما بأنفسهم و أنّ الله سميع عليم" الأنفال، الآية 53.[1].

التغيير اصطلاحا: " التبديل والإبدال والتغيير بمعنى واحد، وهو أن يجعل مكان الشيء شيئا آخر، أو تحوّل صفته إلى صفة آخرى"[2].

والتغيير الإسلامي هو : " نقض أسس المجتمع الجاهلي التشريعية والفكرية وإحلال أفكار الإسلام و مبادئه وتشريعاته، وتحقيق تعبيد الناس لله تعالى في كافة شؤونهم الخاصة والعامة ،و أن يكون ولاء المجتمع شعبا وحاكما لله ربّ العالمين وهو تغيير جذري كلي للكيانات الجاهلية وليس ترقيعا لها أو إصلاحا لجانب من جوانبها"[3].

- محمد الغزالي:

هو الغزالي بن أحمد موسى السقا، ولد الشيخ محمد الغزالي بقرية نكلا العنب مركز إيتاي البارود محافظة البحيرة في 23 سبتمبر 1917م، التحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي بعدما حفظ القرآن الكريم، نشأ في عائلة محافظة من أب عابد حافظ للقرآن حيث دخل الكتاب في سنّ الخامسة ثمّ التحق بمعهد الإسكندرية ورافقه والده أين اشترى مكتبة بالمدينة ليسترزق منها، وهذه المكتبة كان لها دور كبير في تكوين ثقافة الشيخ الغزالي، ودخل الشيخ إلى المرحلة الابتدائية من التعليم الأزهريسنة 1928م[4].

وعن هذه الفترة التي قضاها في المعهد يتحدث الشيخ محمد الغزالي قائلا: " أعتقد أنّ هذه الفترة منأزهى فترات التألق العلمي في الأزهر لأنّ دراسة الطبيعة والكيمياء و الإحياء وعلوم الحساب والجبروالهندسة والتوسع في دراسة التاريخ المحلي و الإسلامي والعالمي ودراسة جغرافيا العالم كله... إنّ هذا كله يصقل فكر الطالب ويعينه على تكوين حكم صائب، بل إنّ الحقائق المشروعة لا تفهم

[1]محمد الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر العروس، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، د.ط، دار الهداية، د.ب، د.ت، ج13، ص186.
[2]مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية الكويتية، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، د.ت، ج10، ص296.
[3]فتحي يكن، الشباب والتغيير، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت_ لبنان ،1997م، د.أ، ص18.
[4]الغزالي محمد، قصة حياة، مجلة إسلامية المعرفة،1996م، ص156.

على واقعها الصحيح إلاّ بهذه المعرفة"[5]، وفي هذا يتضح سعي الشيخ الغ زالي منذ صغره إلى تفتح عقله واكتساب مختلف العلوم حتّ أنه اقتنع في صغره بارتباط الحقائق العلمية بحقائق الدين.

التحق الشيخ بعدها بكلية أصول الدين بالأزهر سنة 1938م أين أتمّ فيها أربع سنوات أخذ خلالها العلوم الدينية وعلم النفس و الأخلاق والفلسفة أتمها بحصوله على الشهادة العالمية من الأزهر سنة 1941م[6]، واصل دراسته التخصصية في الدعوة و الإرشاد وبعد سنتين تحصّل على الشهادة العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد ليتوظف بعدها في مجال الإمامة والخطابة والتدريس بوزارة الأوقاف[7]. وقد شغل عدة وظائف إلى أن صار مفتشا على المساجد ثمّ مديرا للتدريب فمديرا للدعوة والإرشاد، وشغل منصب أستاذ في جامعة أم القرى بالسعودية وكذا بكلية الشريعة بجامعة قطر، عاد بعدها إلى مصر وعيّن وكيلا لوزارة الأوقاف بمصر كما ترأس المجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة بالجزائر[8].

كثيرا ما كان الشيخ يقول: أمنية حياتي أن أموت و أدفن في الأرض المقدسة، ويشاء القدر أن تقبل أمنية الرجل إذ سافر إلى المملكة العربية المقدسة للمشاركة في المهرجان الوطني للثقافة الجنادرية فتوفي في قاعة الملك فيصل والقلم في يده، مساء يوم الجمعة 17 شوال سنة 1416هـ المواقف ل 9 مارس سنة 1996م ودفن بالبقيع[9].

---

[5]محمد الغزالي، مذكرات الشيخ محمد الغزالي، د.ط، دار الرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر ،2006م، ص16.

[6]المصدر نفسه، ص157.

[7]نور الدين أعزيز، الوسطية والاعتدال في المنهج الدعوي عند الشيخ محمد الغزالي، د.ط، دار الفكر، دمشق_ سوريا ،2010م، د.أ، ص17.

[8]عمر بطيشة، محمد الغزالي شاهد على العصر،ط1، دار الفاروق، الرياض_ السعودية ،2010م، د.أ، ص12_11.

[9]عبد الله العقل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، د.ط، د. دار نشر ،2001م، د.أ، ص984.

مؤلفاته:

عرف الشيخ محمد الغزالي بغزارة قلمه وكثرة مؤلفاته في مختلف المجالات كالفقه والعقيدة والسياسةوغيرها، ونذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- عقيدة المسلم.
- نظرات في القرآن.
- الجانب العاطفي في الإسلام.
- المحاور الخمسة في القرآن الكريم.

2. مفهوم العلم والعقل عند الغزالي:

مفهوم العلم عند الشيخ الغزالي يتلخّص في قوله: " إنّ العلم للإسلام كالحياة للإنسان ولن يجد هذا الدين مستقرا له إلاّ عند أصحاب المعارف الناضجة و الألباب الحصيفة"[10] فالشيخ يعتبر أنّ العلم هو سبيل الإيمان الحق وهو " روح الإسلام لا بقاء لجوهره ولا كفالة لمستقبله إلاّ به والناس في نظر الإسلام أحد رجلين: إمّا متعلم يطلب الرشد و إمّا عالم يطلب المزيد"[11] ونرى في هذا تكليفا واضحا وحثا بضرورة تحصيل العلم وتفعيل ملكة الخلق التي استودعها الله تعالى عباده.

ينطلق الشيخ محمد الغزالي في مقاربة العلم وفلسفة التغيير عنده من قناعته بأنّ الحقائق الدينية الإسلامية لا يمكن الوصول إلى جوهرها وفهمها إلاّ بالعلم، وذلك عن طريق التدبر في القرآن الكريم والتفكّر في سنن الكون[12]، بل إنّ الشيخ الغزالي يذهب لأبعد من هذا حين يجعل الإيمان الحق مشر

---

[10]محمد الغزالي، خلق المسلم، ط1، دار الريان للتراث، القاهرة _ مصر ،1987م، د.أ، ص219.

[11]المصدر نفسه، ص227.

[12]المصدر نفسه ص218.

،

،

وطا بالتفكير في الكون، نفهم هذا من خلال قوله: " ... وهناك بعد ذلك التفكير في الكون أطرد الأمر به سور القرآن واعتبر الأساس الأول لإقامة إيمان ثابت وطيد"[13].

ويعتبر الشيخ الغزالي أنّ الصلاة بمركزيتها في العبادات الإسلامية تعتبر " عملا عقليا بحتا فالدعوة إلىالصلاة كلمات تقرع العقل وتوقظ القلب وليست جرسا يرسل رنينه في الفضاء... والصلاة نفسهاآيات تتلى من كتاب جامع لعزائم الخير، ومدى قبولها مقرون بصحة الفكر في إقامتها وتدبر العقللمعانيها"[14]، وفي هذا نجد الشيخ الغزالي بأسلوب الداعية المتميز يرتقي بمعان الإسلام إلى بعيد، حيثيرّكّز على العقل باعتباره سبب التشريف الإنساني فيقرن هذا العقل بعبادة الصلاة التي ترتبط بالإنسان في كلّ أوقاته، فراهن على جعل الأمر بالصلاة مرتبطا بالعقل لفهم أسرار هذه العبادة وحكمتها وليس مجرد ممارسة مفرغة.

كما يرّكّز الشيخ الغزالي على قيمة العلم في استنهاض الأمة الإسلامية قائلا: " وهذه أول صيحة تسمو بقدر القلم وتنوه بقيمة العلم وتعلن الحرب على الأمية الغافلة وتجعل اللبنة الأولى في بناء كل رجل عظيم أن يقرأ و أن يتعلم، وسما الله عزّ وجل بدرجات العلماء حتّ قرنهم بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته والإقرار بعدالته: " شهد الله أن لا إله إلاّ هو و الملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم" آل عمران، الآية 18" [15]

وفي هذا السياق يدعو الشيخ محمد الغزالي إلى البحث في الكون والتفكير في نواميسه وقوانينها والتدبر في الحكمة من هذه النواميس بما ينفع الوجود الإنساني، وفي هذا يشيد الشيخ بما أنجزته أوروبا في الطبيعة وعلوم الكون وفي ذات الوقت يعيب الشيخ تخلف المسلمين في هذه الميادين، فيعتبر الشيخ الغزالي أنّ التدبر والتفكر في الكون أحد ركائز الانسان في هذا الكون[16]، ونتبيّن هنا قناعة الشيخ

---

[13]المصدر نفسه ص219.

[14]المصدر نفسه، ص220.

[15]المصدر نفسه، ص221.

[16]المصدر نفسه ص42.

،

،

بض رورة تفعيل العقل و إعطائه قيمته الحقيقية التي جعلها الله تعالى له من أجل تفعيل طاقات الأمة.

وفي هذا يطرح الشيخ محمد الغزالي مسألة الارتباط الروحي والعقلي في الإنسان بقوله: " إنّ الإنسان عقل وقلب والظن بأنّ يقظة القلب ما تتمّ إلاّ مع خمول الفكر و ازدراء الدنيا خطأ فاحش"[17]، وهو هنا يراهن على خطأ الفكر المغلب للجانب الروحي في حياة الإنسان على حساب العقل والفكر والتدبر، معتبرا أنّ ذلك كبح لملكات وطاقات وهبها الله عزّ وجلّ لعبده بهدف توظيفها فيما يخدمه. جاء هذا قناعة من الشيخ محمد الغزالي بأنّ الحياة الروحية التي تبخس العقل قيمته ولا تهتم بتحصيلالعلم هي حياة متعبة للإنسان، نفهم هذا من خلال قوله: " إنّ التدين الذي انكمش أمام أقدامالعلم وقبع مكانه ساخطا على ثمرات التقدم المدني لا يستحقّ في نظرنا أن يعطى فرصة أخرى لتخريبالدنيا وشلّ نمائها"[18]، أي أنه يرى في كلّ تدين رافض لتفعيل العقل وتحصيل العلم والتدبر والتفكّرتدينا هالكا للإنسان موقفا لعجلة الحياة كابحا لوظيفة الاستخلاف التي وكّل الله تعالى بها عباده.

يؤكّد الشيخ محمد الغزالي على ربط الإيمان الحق بالعلم والفكر كمخرج للإنسان المعاصر من أزماته بقوله: " وإنّ الإيمان الذي يلده العلم الصحيح هو الإيمان بالله الفرد الصمد... عندما نقيم الدليل القاطع على ثبوت شيء ما وعندما نقيم الدليل _قاطعا_ على نفي ضدّه فيثبت أنه من المستحيل أن تخلق نواة من تلقاء نفسها و أنّ عامل الصدفة لا يجوز في هذا المجال علميا و أنه لابدّ من وجود إله عالم مقتدر حكيم"[19]، وهو ما أثبته فعلا اعتناق علماء الفيزياء والرياضيات وعلماء الطبيعة ...وغيرهم للإسلام بعد اكتشافهم لتطابق الحقائق العلمية مع ما جاء في القرآن الكريم، والتحصيل العلمي يثبت يوما بعد آخر استحالة وجود هذا الكون ودقيق صنعه وإحكام تسييره بمحض الصدفة والعبثية، لابدّ له من خالق عظيم عليم واحد أحد.

---

[17]محمد الغزالي ركائز الإيمان بين العقل والقلب، د.ط، دار الشروق، القاهرة_ مصر، د.ت، د.أ، ص21.

[18]المصدر نفسه، ص22.

[19]المصدر نفسه ص43.

،

،

يخلص الشيخ محمد الغزالي في النهاية إلى أنّ القرآن الكريم باعتباره كلام الله تعالى الموجّه للبشرية لم يتناقض أبدا مع حقائق العقل والعلم فيقول: " ثمّ إنّ أسلوب القرآن الكريم في الحديث عن الله وتصوير جلاله ومجده يتطابق مع ما يوجبه العقل للخالق الكبير من عظمة وتقديس ومن هنا فإنّ تراث الوحي الإلهي عندما نقرأ حقائقه و كأنّها نتائج لمقدمات عقلية خالصة وذلك ما يجعل العلم والإيمان قرينين لا ينفكان"[20]، فالشيخ يؤكّد على ضرورة تجاوب العقل البشري مع حقائق الكون و اكتشاف أسراره، وهذا العلم مطابق لما جاء في القرآن الكريم لا تناقض بينهما، من هنا فقط سيصل الإنسان في نظر الشيخ محمد الغزالي إلى إيمان حقّ بالخالق عزّ وجل ذلك أنه سيصل بالدليل القاطع إلى عدم عبثية خلق الكون والإنسان.

[20] المصدر نفسه ص51.

،

،

يعرّج الشيخ محمد الغزالي لمسألة أفضلية العلم والمعرفة على العمل المبهم وأسبقيتها، مستشهدا بقول رسول الله تعالى : " قليل العلم خير من كثير العبادة" أخرجه الطبراني، معتبرا أنّ الحكمة من هذاالتسبيق والتفاضل تكمن في أنّ عبادة الجاهل تضره أكثر من نفعها عليه، والعابد الجاهل دائما مايكون متعصبا ظاهريا ضارا لدينه في أول موقف جاهل منه[21]، ويحثّ الشيخ الغزالي على طلب علومالحياة والطبيعة تماما كالاجتهاد في طلب علوم الدين والآخرة، معتبرا أن لا قطيعة بينهما وكذلك يؤكّد على ضرورة تعلم اللغات معتبرا في هذا من حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت على تعلم اللغة السريانية لأنّ فهم لغات الشعوب من ضرورات الدعوة إلى الإسلام[22].

3. مفهوم الحرية في فكر الغزالي:

الحرية في فكر الشيخ محمد الغزالي هي: " صدى الفطرة ومعنى الحياة، يشبّ المرء من نعومته وهو يحس بأنّ كل ذرة من كيانه تنشدها وتهفو إليها"[23] ويرى الشيخ الغزالي أنّ الحرية أنواع:

- حرية الكلام والتعبير في كلّ بقعة من بقاع الأرض.
- حرية كلّ فرد في عبادة الله على طريقته الخاصة.
- التحرر من ربقة العوز أي عقد اتفاقيات اقتصادية تضمن لأبناء كلّ أمة عيشة راضية.
- التحرر من الخوف[24].

ويرى الشيخ الغزالي ضرورة التفصيل في الحديث عن التحرر من العوز لأنه متعلق بضمان عيش كريم للشعوب، وفي هذا يناقش قضية استدمار أوروبا لإفريقيا وآسيا واستغلالهما واستبدادهما[25].

كما يشير الشيخ إلى أنّ مسألة الإيمان تنبع من تحرر الفكر إذ جعل الله " الإيمان عملا عقليا لا عملا آليا وارتضاه ثمرة تفكير ناضج لا ثمرة تقليد أعمى"[26] وهذا ما يؤخذ من إقامة الله للأدلة على وجوده

---

[21]محمد الغزالي، خلق المسلم، ص223.

[22]للتفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص214_215.

[23]محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي،ط6، نهضة مصر للطباعة والنشر ،2005م، د.أ، ص72.

[24]المصدر نفسه، ص73.

[25]للتفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص74_75.

[26]المصدر نفسه ص85.

،

ووحدانيته وكمال صفاته، حيث لم يشأ الله ان يلزم عباده بالطاعة القهرية بل بالاقتناعالمؤسس على أدلة مبثوثة في الآفاق والأنفس والأدلة على هذا من آي الذكر الحكيمة كثيرة جدا.

وفي حديث الشيخ محمد الغزالي عن الحرية العقلية يعتبر أنّها " ركن في الدعوة إلى الله بل هي ركنفي صحة العمل الإنساني ليستحقّ الثواب أو العقاب"[27]. فالشيخ يرى أنّ الحرية العقلية مركزية فيالتدين إذ لا إكراه في الدين.

ويعتبر الشيخ محمد الغزالي أنّ القرآن احتوى على ما يضمن تقدير الحرية العقلية بشكل لم تعرفه الديانات السابقة، مستشهدا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من الأنبياء إلاّ أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[28]، ومن هذا ينكر الشيخ الغزالي أشدّ النكران الإكراه في العقائد، إذ أنّ طريقها لا يكون إلاّ بالحرية العقلية المطلقة.

وفي السياق ذاته طرح الشيخ محمد الغزالي مسألة الارتداد وعلاقتها بالحرية، منبها إلى أنّ " الارتداد عن الدين كان جزءا من حرية العقل والضمير التي أقام الإسلام عليها دعوته فمن شرح الله صدره للإسلام بقي عليه وعاش فيه و إلاّ خرج وكفيت جماعة المسلمين شره ظلّ هذا الحكم قرابة عشرين سنة منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وكان شرطا مقررا في معاهدة الحديبية"[29] وفي هذا نرى دليلا واضحا على حرية المعتقد في الدين الإسلامي.

فالحرية هي شرط رئيس في استنهاض طاقات الأمة الإسلامية في فكر الشيخ الغزالي، إذ يعتبر أنّ هذه الطاقات لا يمكن لها أن تظهر إلاّ في كنف نظام حكم يضمن حرية التعبير وحرية الأفعال، أمّا عن حرية التعبير فهي في نظر الشيخ الغزالي تتحقّق بممارسة النقد الحر للحكم ويقصد الشيخ هنا النقد الإصلاحي، وفي هذا يقول: " حاجة الأمم للنقد ستظلّ ما بقي الإنسان عرضة للخطأ و الإهمال بل

---

[27]المصدر نفسه، ص92.

[28]المصدر نفسها، الصفحة ذاتها.

[29]المصدر نفسه، ص120.

،

ستظلّ ما بقي الكل من البشر يخشون الملام ويخافون الحساب وما دامت العصمة لا تعرف الكبير أو الصغير فيجب أن يترك باب النقد مفتوحا على مصراعيه"[30].

4. محورية العلم والحرية في فلسفة التغيير عند الشيخ محمد الغزالي:

يوحي الإنتاج الفكري للشيخ محمد الغزالي بأنه رجل فكر جمع بين المرجعية الدينية الإسلامية وبينالثقافة العلمية المعاصرة، فهو ينطلق من الواقع ولا يكتب بعيدا عنه إذ أنه أدرك جيدا أزمة الحضارةالإسلامية التي كانت تتخبط فيها آنذاك، لكنه رغم هذا لم يكن متشائما في كتاباته بل كان متفائلابالتغيير الحضاري الذي يتكّ ئ على القرآن الكريم والسنة النبوية مرجعا ومنهجا وهدفا.

وبعد قراءة في مفهوم التغيير عند الشيخ محمد الغزالي يجد الباحث أنّ العلم يمثل مفهوما محوريا و أساسيا في منهج الشيخ لاستنهاض حضارة الأمة الإسلامية، ويقصد الشيخ العلم القائم على الوحي مرجعية وهدفا والمعتمد على التجربة و الاستقراء والبحث العلمي وليس العلم بمفهومه الأوروبي، نفهم هذا من خلال قوله: "... فبعض الناس لا يرون العلم إلاّ النشاط المادي أو النشاط العقلي للإنسان في فهم المادة، ولعل هذه الكلمة هي الدارجة في أوروبا الآن، والعلم في نظري أوسع من هذا، فإنّ العلم عندي يشمل الوحي الصحيح الصادق كما يشمل كل ما يعتمد على التجربة والملاحظة في دنيا البحث العلمي"[31]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على رفض الشيخ لمنهج البحث العلمي المغيب للمرجعية الدينية الإسلامية و على تأكيده بضرورة المضي في مسار البحث العلمي وفق منهج إسلامي واضح يخدم الأمة الإسلامية، فالشيخ يؤكّد على ضرورة مواكبة المسلمين للبحث العلمي و التطور الذي مضت فيه أوروبا و الغرب، و يستنكر واقع المسلمين الذين تراجعوا أشواطا عن التحصيل العلمي.

كذلك يركّز الشيخ محمد الغزالي على تعظيم العقل بل إنه يضعه في جوهر فلسفته التغيرية و منهجه الإصلاحي رافضا الفصل بين الجانب العقلي و الجانب الروحي في التركيبة البشرية، وفي هذا المعنى يقول الشيخ: " إنّ عظمة الإنسان تقوم على نشاط عقلي لا حدود له يواكبه نشاط روحي لا يقل

---

[30]محمد الغزالي الإسلام والطاقات المعطلة، د.ط، نهضة مصر للطباعة والنشر ،2005م، د.أ، ص57.

[31]عمر بطيشة، محمد الغزالي شاهد على العصر، ط1، دار الفاروق، الرياض ،2010، د.أ، ص27.

،

عنه كفاية وقوة وذلك هو المفهوم الممتدّ للإيمان يعيد الإنسان إلى الله ويتقدّم به روحيا وبفضل هذا المركب الفذّ الذي يجعل منه عقلا وقلبا في الحين نفسه"[32]، ربما ركّز الشيخ الغزالي على مسألة العقل لما رآه في واقع المسلمين آنذاك من تجميد لطاقات العقل الإنساني كليا و انتشار فكر صوفي خاطئ

[32]محمد الغزالي الجانب العاطفي من الإسلام، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر ،2005م، د،أ، ص104.

مكبل للعقل و طلب العلم على حساب الجانب الروحي فحزّ في نفسي الشيخ الغزالي هذا الوضع الذي آلت إليه حضارة المسلمين، وتصدر الخطاب الاسلامي الجهلة والمغفلون.

ومن أسس التغيير الحضاري عند الشيخ محمد الغزالي الحرية التي تعتبر مفهوما محوريا في الإصلاح بالنسبة للشيخ، فقد ركّز على ضرورة إقامة بيئة حرة تساعد على تفعيل طاقات الأمة الإسلامية وذلك من خلال توفر الحرية السياسية أو ما يعرف بالكرامة السياسية أين تتكافئ الفرص بين الجميع ويطبق مبدأ القصاص من الحاكم[33].

ومن خلال اطلاق الحرية للفكر لتفعيل الاجتهاد الذي قفز بالأمة الاسلامية خطوات عملاقة لازال الغرب يقتفيها من خلال تحقيق المنتوج الفكري للتراث الاسلامي والاستفادة منه ويمكن ان نستدل على هذا بالمناهج الفكرية الحداثية في اللغة والفلسفة وغيرها من العلوم حيث يعترف الغرب انه اخذ عن علماء المسلمين في الوقت الذي يدعو فيه الحداثي ون المسلمون والعلمانيون والجهلة من حملة الخطاب الاسلامي الى القطيعة مع التراث .

وصل اللهم على سبدنا محمد.

[33]ينظر:محمد الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر ،2005م، د.أ، ص76.

الخاتمة:

نصل في نهاية هذه الورقة البحثية إلى جملة من النتائج نلخصّها فيما يلي:

- الشيخ محمد الغزالي واحد من أهم أعلام المدرسة الإصلاحية الإسلامية حمل على عاتقه هموم الأمة فكانداعية وفقيها ورجل عقيدة قدّم للعالم الإسلامي حلولا واقعية عقلانية بعيدة عن التنظير المجرد.
- المشروع الفكري للشيخ محمد الغزالي يثبت اجتهاد هذا المفكّر في التركيز على الانسان والمراهنة على إعادة الاعتبار لمبدأ الاستخلاف كما جاءت في القرآن الكريم والنموذج النبوي.
- يؤكّد الغزالي أنّ العلاقة بين الروح والعقل هي تكامل ضروري في تشكيل الإنسان، و إعادة هذا التكامل هو ركن أساسي في إصلاح أزمات الأمة الإسلامية.
- وفي الفلسفة التغييرية للشيخ محمد الغزالي وضعنا أيدينا على مدى اهتمامه بمبدأ الحرية كأساس ضروري لتفعيل طاقات الإنسان، ذلك أنّ الإسلام حفظ حريات الإنسان في شتّ المجالات فلمّا ساد الاستبداد في أنظمة الحكم ضاعت هذه الحريات و تراجع بذلك حال الأمة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

1(عبد الله العقل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، د.ط، د. دار نشر ،2001م، د.أ ،ص984.

2(عمر بطيشة، محمد الغزالي شاهد على العصر، ط1، دار الفاروق، الرياض ،2010، د.أ، ص27.

3(عمر بطيشة، محمد الغزالي شاهد على العصر،ط1، دار الفاروق، الرياض_ السعودية ،2010م ،د.أ، ص12_11.

4(الغزالي محمد، قصة حياة، مجلة إسلامية المعرفة،1996م، ص156.

5(فتحي يكن، الشباب والتغيير، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت_ لبنان ،1997م، د.أ، ص18.

6(مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية الكويتية، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ،د.ت، ج10، ص296.

7(محمد الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر العروس، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، د.ط، دار الهداية، د.ب، د.ت، ج13، ص186.

8(محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي،ط6، نهضة مصر للطباعة والنشر ،2005م، د.أ ،ص72.

9(محمد الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر ،2005م، د.أ ،ص76.

10(محمد الغزالي، الإسلام والطاقات المعطلة، د.ط، نهضة مصر للطباعة والنشر ،2005م ،د.أ، ص57.

11(محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر ، 2005م، د،أ، ص104.

12(محمد الغزالي، خلق المسلم، ط1، دار الريان للتراث، القاهرة _ مصر ،1987م، د.أ ،ص219.

13(محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، د.ط، دار الشروق، القاهرة_ مصر، د.ت ،د.أ، ص21.

14(محمد الغزالي، مذكرات الشيخ محمد الغزالي، د.ط، دار الرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2006م، ص16.

15(نور الدين أعزيز، الوسطية والاعتدال في المنهج الدعوي عند الشيخ محمد الغزالي، د.ط، دار الفكر، دمشق_ سوريا ،2010م، د.أ، ص17.